مظاهر البناءِ الفني الجمالي في أدعية الصحيفة الرضوية الجامعة للإمامِ الرضا عليه السلام

الأستاذ المشارك الدكتور سمية حسنعليان
كلية اللغات، جامعة أصفهان، إيران
s.hasanalian@fgn.ui.ac.ir

The manifestations of the artistic and aesthetic construction in the supplications of the Razavi newspaper of Imam Reza, peace be upon him

Dr. Somaya Hassan Alian
Associate Professor, Faculty of Languages, University of Isfahan, Iran

الملخص:-

يحتوي ما وصلنا من تراث الأئمة المعصومين عليهم السلام مضامين عالية تربوية وأخلاقية وإنسانية واجتماعية تساعد الإنسان في أن يعيش عيشة سالمة في المجتمع ويبني علاقاته علي أركان الشريعة ويسير في طريق توصله إلى الرشد والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة. ومن ضمن هذا التراث الفضيل الأدعية التي صدرت عنهم عليهم السلام. ولم تقتصر جماليتها علي الأفكار والمضمون بل تجاوزت إلى اللفظ والتعبير.

من هذا الانطلاق يستهدف هذا البحث دراسة البناء الفني الجمالي لأدعية الإمام الرضا عليه السلام، المجموعة في الصحيفة الرضوية الجامعة، مستخدما المنهج الوصفي - التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الإمام الرضا عليه السلام، الصحيفة الرضوية الجامعة، الدعاء، الجمالية.

Abstract:-

The legacy of the infallible imams, peace be upon them, contains high educational, moral, human and social contents that help man to live a peaceful life in society, build his relationships on the pillars of Sharia, and walk the path of reaching maturity, salvation, and happiness in this world and the hereafter. Among this noble heritage supplications that were issued by them, peace be upon them. And its aesthetic was not limited to ideas and content, but also exceeded the wording and expression. From this point of view, this research aims to study the artistic and aesthetic structure of the supplications of Imam Reza, peace be upon him, collected in the Razavi Jamia newspaper, using the descriptive-analytical method.

Key words: Imam Reza peace be upon him, Sahifa Razavi al-Jami`ah, supplication, aestheticism.

١. المقدمة:ـ

تراث الأئمة الطاهرين عليهم السلام يمتاز بجمال أسلوبه ولغته فضلا عن المعارف والعلوم والمضامين والمعاني العالية التي أودعت فيه. إذا التعرف علي ما دعا إليه الأئمة عليهم السلام هو الوظيفة الهامة علي عاتقنا لنجعلهم قدوة نقتدي بهم في المجتمع للحصول علي السعادة الحقيقية، فضلا عن أن القرآن نفسه يعرّف للناس قدوة لينتهجوا منهجهم ويسلكوا سبيلهم ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب ٣٣: ٢١)، والنبي إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ (الممتحنة ٦٠: ٤).

الصحيفة الرضوية أحد النصوص الدينية التي تتضمن أدعية الإمام الرضا عليه السلام وهذه الأدعية المباركة صدرت عن الإمام عليه السلام في مواضع ومواقف مختلفة.

وليست تضم الأدعية التي وصلتنا من الأئمة الأطهار عليهم السلام بين دفتيها الابتهال والبكاء والتضرع إلى الله تعالى فقط؛ بل فيها كثير من المضامين العالية والعلوم والمعارف الإسلامية والقضايا العقائدية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي تساهم بشكل كبير في تربية الذات وبناء مجتمع سليم ورقي الإنسان. وبعضهم مثل الإمام السجاد عليه السلام اختار الدعاء أسلوبا انتهجه ليكون مسلكا ووجها بارزا لحركته الإصلاحية في المجتمع.

هذا من جهة ومن جهة أخرى أن لأهل البيت عليهم السلام مكانة مرموقة في الأدب العربي ولم يقف الأمر عند الإمام علي عليه السلام بوصفه مؤسس البلاغة والفصاحة بلا منازع بعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله، بل نجد أهل البيت عليهم السلام بعده قد طوعوا الكلمة وجعلوها رهن إشارتهم ولمسات هذه الفصاحة والبلاغة واضحة في خطبهم ومناظراتهم ووصاياهم ومواعظهم وكذلك في أدعيتهم.

وانسياقا من هذا يستهدف البحث هذا إلى دراسة بنية فنية جمالية لهذه الأدعية، ولتحقيق هذا الهدف وُضعت خطة البحث التي تبدأ بالإشارة إلى أهم مصطلحات البحث، والمنهج، وخلفية البحث، مرورا بذكر أسلوب الإمام الرضا عليه السلام في الأدعية وأهم المظاهر الفنية والجمالية فيها، ويختتم البحث بذكر أهم النتائج والمصادر والمراجع التي استندت

الباحثة إليها في كتابة المقالة.

وأما أهم الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المجال فهي:

١. بم امتاز أسلوب الإمام الرضا عليه السلام في أدعيته؟

٢. ما مظاهر جمالية في أدعية الإمام الرضا عليه السلام؟

والمنهج الذي توخي البحث لدراسة البنية الفنية الجمالية في أدعية الإمام الرضا عليه السلام هو الوصفي ـ التحليلي.

أما بالنسبة إلى الدراسات السابقة فلا يفوتنا التنبيه علي أن هناك بعض دراسات وبحوث أجريت علي تراث الإمام الرضا عليه السلام باللغتين العربية والفارسية؛ ولا يسع هذا المختصر ذكر كلها؛ ولكن بالنسبة للصحيفة الرضوية وأدعية الإمام الرضا عليه السلام فحصلنا علي بعض دراسات عن دراسة التناص القرآني في الصحيفة الرضوية؛ ولكاتبة هذه السطور مقالة علمية في هذا الموضوع وهي من البحوث المختارة التي تم نشرها في كتاب عام ١٣٩١ ه. ش، منشورات جامعة الإمام الصادق عليه السلام، طهران.

وكذلك كتب الباحثون الآخرون عن هذا الموضوع وعن الصحيفة الرضوية، منهم:

- مقالة ((بررسي روابط بينامتني قرآني در صحيفه رضويه))، قاسم مختاري وسحر محبي، مجلة حسنا، السنة ٦، العدد ٢٠، عام ١٣٩٣ هـ.ش.
- مقالة ((خوانش بينامتني قرآن و صحيفه جامعه رضويه))، راضيه رفيعي والآخرون، مؤتمر وطني للتناص، قم المقدسة، مؤسسة (بوستان قرآن و عترت)، ١٣٩٣ هـ.ش.
- مقالة ((بررسي آماري بينامتنيت صحيفه رضويه و قرآن كريم))، بهمن هاديلو، مؤتمر دولي في اللغة والأدب واللسانيات، ١٣٩٦ هـ.ش.
- مقالة ((تناص قرآني در صحيفه رضويه با تكيه بر زيارتهاي جامعه))، ليلا قاسمي حاجي آبادي والآخرون، مؤتمر وطني في المستقبل والعلوم الانسانية والأمن الاجتماعي، ١٣٩٥ هـ.ش.

- مقالة ((تبيين شيوه‌هاي تربيتي امام رضا عليه السلام در راستاي ايجاد سبك زندگي اسلامي بر مبناي تحليل محتواي دعاهاي صحيفه رضويه))، محمد جاني‌پور، وعلي سروري مجد، مجلة فرهنگ رضوي، السنة ٢، العدد، ٧، ١٣٩٣ هـ.ش.

وأما أهم المفردات الأساسية للبحث الحاضر هي:

- **الإمام الرضا عليه السلام:**

الإمام الرضا عليه السلام هو الإمام الثامن، وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله، له ألقاب عدة أشهرها (الرضا)، وكنيته أبو الحسن الثاني، ولد في المدينة المنورة سنة ١٤٨هـ، عُرِف الإمام الرضا عليه السلام بسعة العلم والمعرفة والزهد والتقوا، وشهد له بذلك مختلف أصحاب المذاهب والأديان، والروايات في ذلك كثيرة. تصدى الإمام الرضا عليه السلام للإمامة بعد أبيه لمدة ٢٠ سنة بين (١٨٣ -٢٠٣ هـ)، عاصر فيها مُلك هارون الرشيد، (١٠ سنوات) ومُلك محمد الأمين (٣ سنوات وخمسة وعشرين يوماً)، ثمّ خُلع الأمين وأُجلس عمّه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة (١٤ يوماً)، ثُم أُخرج محمد ثانية وبويع له وبقى بعد ذلك (سنة وسبعة أشهر) وقتله طاهر بن الحسين، ثُم مُلك المأمون. لقد كانت هجرة الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو في سنة ٢٠٠ هـ؛ ومن أهم وأوثق ما حدث في هذه الرحلة الطويلة حديث الإمام في مدينة نيشابور المشهور بحديث سلسلة الذهب؛ طلب المأمون العباسي من الإمام الرضا عليه السلام أن يكون ولي عهده في الخلافة، فرفض الإمام ذلك كما تشير جملة من الأخبار والروايات، غير أنّ المأمون التجأ إلى تهديد الإمام الرضا عليه السلام بالتصريح تارة وبالتلويح أخرى، ممّا دفع بالإمام عليه السلام لقبول ولاية العهد بشرط ألا تكون له أي سلطة تشريعية أو تنفيذية في حكم المأمون من قبيل: التنصيب والعزل فقبل المأمون ذلك. استشهد الإمام الرضا عليه السلام بجرعة سمٍّ، في طوس سنة ٢٠٣ هـ. سلام الله عليه وعلي آبائه الطاهرين. (لترجمته بالتفصيل انظر: العاملي، ١٤٠٣هـ؛ جعفريان، ١٤١٤هـ، ٢: ٤٤٣؛ القرشي، ٢٠٠٩م، ٣٠: ٣٤؛ عرفان منش، ١٤٣٤هـ؛ فضل الله، ١٣٩٦.ش).

- **الدعاء:**

الدعاء في اللغة الطلب والحاجة، والدعاء هو العبادة، والرغبة إلى الله تعالى، واحد

الأدعية وأصله دعاو لأنه من (دعوت) (ابن منظور، ١٤٠٥هـ، ((دعو)))؛ وفي المصطلح نثر فني رائع وأسلوب ناصع من أجناس المنثور، ونمط بديع من أفانين التعبير وطريقة بارعة من أنواع البيان ومسلك معجب من فنون الكلام (محفوظ، ١٩٦٧م، ٤٥). والدعاء يمثل المعاني القيمة التي تتبلور في نفس الداعي فيتوجه إلى الله تعالى ومن هذا المنطلق يتخلق من ربق العبوديات.

- **الصحيفة الرضوية الجامعة:**

العنوان الكامل للكتاب هو ((الصحيفة الرضوية الجامعة لأدعية علي بن موسى الرضا علية السلام وأبنائه الأربعة))، والمؤلف هو سماحة السيد محمد باقر نجل اية الله السيد مرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني؛ وتمت فهرسة الكتاب في مؤسسة الإمام الحسين وحدة البحوث والكتابات، وقد ساهم في تحقيقه مؤسسة الإمام المهدي بقم المقدسة، ١٤٢٠هـ.

وما يهمنا في هذا البحث هو أدعية الإمام الرضا عليه السلام في هذا الكتاب وهي تضم بين دفتيه أدعية بموضوعات مختلفة متنوعة منها: الأدعية في تسبيح الله وتحميده والصلاة علي نبيه وآله عليهم السلام، أدعيته في طلب الإيمان والأمن والعافية والصبر، أدعيته للاستخارة والاستسقاء، أدعيته لطلب الفرج وكشف المهمات ودفع الشدائد، أدعيته لطلب قضاء الحوائج، أدعيته للفزع من السلطان ودفع شر الأعداء، أدعيته في الأوقات مثلا أيام الشهر، وفي الصبح والمساء، أدعيته عند مواقيت الأمور مثلا في وقت سماع الأذان وفي أثناء الصلاة، وفي تعقيب الفرائض، وفي سجدة الشكر، وفي السفر والحج، وفيما يتعلق بالزواج، وأدعيته لنفسه وللآخرين.

ومجموع هذه الأدعية المباركة التي تمت دراستها في هذا البحث ١٠٢ دعاء.

٢. البنية الفنية الجمالية:

بنية الشيء هي تكوينه (ابن منظور، ١٩٠٨هـ، ب ن ي)، وقد تعني الكلمة الكيفية التي شيد علي نحوها البناء أو الشيء ولذلك يكون الحديث عن بنية المجتمع وبنية اللغة وبنية الشخصية... ويفرق العرب بين كلمتي المعني والمبني وعندما تحدث العلماء القماء عن المبني فهو نظير ما يبحث عنه النقد الحديث بكلمة البنية. والمعجم اللغوي فقد أشار إلى لفظة ((البنيوية)) مانحا إياها تسميات أخرى هي البنائية والبنيانية بوصفها نزعة مشتركة بين علوم

عدة كعلم النفس وعلم الدلالات ثم هي لغويا نظرية قائمة علي تحديد وظائف العناصر الداخلة في تركيب اللغة ومبينة أن هذه الوظائف المحددة بمجموعة من الموازنات والمقابلات هي مندرجة في منظومات واضحة ويركز هذا المعجم علي كون فكرة الكلية أو المجموع المنتظم تقع في أساس البنيوية والمراد الذي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة وأخيرا يشير المعجم إلى قلق العلماء وعدم اطمئنانهم إلى أنهم توصلوا من خلالها إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقاق ثابتة وعالمية التصديق (عبد النور، ١٩٧٩م، ٥٢)، وقد بدأ العالم اللغوي السويسري فرينان دي سوسير الدراسات البنيوية في العصر الحديث ومع أنه لم يستخدم كلمة البنية وإنما استخدم النسق إلا أن الفضل الأكبر في ظهور هذه الدراسات يعود إليه. يؤكد سوسير علي أن اللغة مجموعة من العلاقات وهي نظام أو نسق له قواعده الخاصة ومكونات هذا النسق مترابطة فيما بينها. ووصف عناصر اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه من العناصر الأخرى والبنية ليست مجرد تعبير عن ذلك الكل الذي لا يمكن رده إلى مجموع أجزائه، بل هي أيضا تعبير عن ضرورة النظر إلى الموضوع علي أنه نظام ونسق حتى يكون في الإمكان إدراكه أو التوصل إلى معرفته والبنية في أبسط تعريفه هي نظام أو نسق من المعقولية (إبراهيم، ١٩٧٦م، ٣٢ـ ٣٣)، فليست البنية هي صورة الشيء أو هيكله أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاؤه فحسب، وإنما هي أيضا والقانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته (المصدر نفسه، ٣٥). ويقال إن مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنية الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل علي الأجزاء بحيث لا يكون من الممكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية أي داخل المنظومة الكلية الشاملة (المصدر نفسه، ٩٣). أو تعني البنية البنا أو الطريقة التي يقام بها مبني ما ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي (فضل، ١٩٩٥م، ١٧٥). وعرفها الهادي الطرابلسي بوصفها مجموعة من العناصر المكونة لجهاز يقوم عليه النص ولجهاز يكون مع أجهزة أخرى جهاز النص الأكبر فالعناصر التي نهتم بها في الدرس هي تلك العناصر المتفاعلة أو المعزولة.. ويجوز أن تسمي نظاما (الطرابلسي، ١٩٩٢م، ٣٨).

وقد أخذ مفهوم البناء الفني للقصيدة جهدا كبيرا من النقاد الغربيين ومنهم أصحاب مدرسة النقد الجديد وهم الذين درسوا القصيدة غير مهتمين بالظروف الخارجية المحيطة بها

وذهب روادها أن هناك خاصيتين يهتم الشاعر بهما وهما حس الموسيقي وحس البناء (عياد، ١٩٦٨م، ١٤٤)، علي أية حال فإن دراسة بناء القصيدة وفق المنهج البنائي هي دراسة تركيب النص بما يتضمنه من عناصر صوتية ودلالية لاكتشاف العلاقات الرابطة بينها هذا ما أكد عليه عز الدين إسماعيل الذي ذهب إلى أن بنية النص تعني النص بكل أبعاده أي لغته وحركاته ونظام علاقاته والرؤية التي يطرحها فهذه الأبعاد تنشأ متشابكة متناغمة تؤلف مجتمعة بنية النص الشعري أو بنية القصيدة (إسماعيل، ١٩٧٢م، ٢٠).

٣. البناء الفني الجمالي في أدعية الصحيفة الرضوية المباركة:

في هذا القيم من البحث سنهتم بأهم مظاهر البناء الفني الجمالي لأدعية الإمام الرضا عليه السلام؛ ألا وهي:

٣. ١. اللغة:

في الحقيقة المضمون وفحوى الكلام والمحتوا بنية النص التحتية واللغة التي من ضمنها العبارات والألفاظ هي البنية الظاهرة أو السطحية للنص وتتشكل البنية التحتية العميقة بواسطتها ومن هنا يتبن لنا دور الإيقاع في تشكيل اللغة أكثر بحيث تتجمع الحروف والأصوات في المفردات وكذلك تضم المفردات بعضها إلى بعض لتشكل معا جرسا موسيقيا هنا وهناك تبعا لكثافة المعني وتركيز العاطفة.

وأحيانا يكون الإيقاع هدفا في حد ذاته وخاصة في النصوص الشعرية إذ ((هو هدف تبنيه اللغة بصيغها وتراكيبها وأصواتها وتبنيه الأوزان بتناسبها وتعاقبها ويبنيه التكرار بأساليبه المتعددة ويبنيه النبر والتنغيم والجرس)) (ابن شيخ، ١٩٦٦م، ٢٢٨).

قال عليه السلام في تحميد الله تعالى علي نعمه وطلب الصبر علي مصائبه:

((اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، وفي قبضتك، ناصيتي بيدك،.. اللهم فلك الحمد علي حسن قضائك وبلائك، اللهم هو مالك ورزقك، وأنا عبدك، خولتني حين رزقتني..)).

أو قال: ((ولك الحمد علي إحسانك الكثير، وخيرك الغزير، وتكليفك اليسير ودفعم العسير...)).

وله: ((ولك الحمد علي سعة إمهالك، ودوام إفضالك، وصرف إمحالك، وحميد فعالك..)) و..

وكثير من لنماذج الأخرى التي نشاهد فيها سهولة الكلمة وسلاستها وكأنها الماء الجاري يسيل في مجري لين بألفاظ بديعة مفعمة بالمعاني وتراكيب فصيحة صحيحة فيصب في النفوس الطاهرة؛ كما نلاحظ الإيقاع الموسيقيّ اللين الجميل الذي يحدث للأسجاع التي في الكلام ويسر هذا الإيقاع الأسماع والنفوس.

ولابد من الإشارة إلى أن من مفردات الحروف وخصائصها كالميم واللام والراء والنون وما فيها من سمة الوضوح السمعي وكالسين والشين والزاي والصاد وما تمتاز به من خاصية الصفير والهمس والرخاوة ولا شك أن هذه الصوامت تظهر عنصرا موسيقيا يمتزج فيه الوضوح والخفوت فيمنح الفرصة المناسبة لإبراز كوامن الإيقاع فيه؛ وكل هذا ظهر في أدعية الإمام الرضا عليه السلام بوضوح، وفي كثر من الأدعية ومنها النماذج التي ذكرناها وخاصة تلك التي يناجي الإمام مع الرب ويدعوه ويطلب منه شيئا فالأصوات لينة هامسة وبها رخاوة؛ ولكن كلما يخاطب الله تعالى داعيا إياه ذاكرا صفاته جل وعلا فتختلف لهجة الخطاب.

مثلاً يقول في المناجاة لطلب الفرج: ((بل شبهوك بخلقك، فمن ثَمّ لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك ربا، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي، وتقدست عما به المشبهون نعتوك، يا سامع كل صوت، ويا سابق كل فوت، يا محيي العظام وهي رميم، ومنشئها بعد الموت صل علي محمد وآل محمد..)).

أو قال لطلب العافية: ((يا الله يا ولي العافية والمنان بالعافية ورازق العافية والمنعم بالعافية والمتفضل بالعافية عليّ وعلي جميع خلقه رحمن الدنيا ورحيمهما)).

وقال لدفع شر الأعداء: ((اللهم يا ذا القدرة الجامعة، والرحمة الواسعة، والمنن المتتابعة، والآلاء المتوالية، والأيادي الجميلة، والمواهب الجزيلة..)) (٣٦).

وفي كل هذه نلاحظ أن لهجته عليه السلام قد تتغير عندما تخاطب الله واصفا إياه ذاكرا صفاته.

ومما ينبغي أن ننبه له هو أن الطبيعة الذاتية للدعاء والنجوى تقتضي أن تكن لغة الدعاء

سهلة سلسة وألا تحمل أقل مسحة من التعقيد اللفظي أو المعنوي؛ ولم تُستثن أدعية الإمام الرضا عليه السلام من هذا الأمر ومع أن الساحة البلاغية فيها واسعة ذات أغوار بعيدة ولكن لغة هذه الأدعية ولهجة الإمام فيها سهلة سلسة بسيطة وظهرت هذه الأدعية في صورة تيسر الاستفادة وإدراك معانيها لعامة الناس.

وفي كل هذه النماذج وباقي الأدعية نلاحظ بساطة التعبير والبيان. ومع أن في بعض الأدعية ورد السجع ولكن كلامه بسيط سهل وسلس وبعيد عن أنواع التكلف والتصنع. وترد المفردات والعبارات يتلو بعضها بعضا بانتظام ونسق وانسجام حسن، ولا نجد فيها عبارة ناشزة معيبة غير منسجمة مع المقصود والمعني المراد.

٣. ٢. الاقتباس من القرآن الكريم:

هذا المحسنة البلاغية أحد الصور البلاغية التي ظهرت في كثير من الأعمال الأدبية والدينية وغيرها بطرق مختلفة متعددة منها تأكيد ما جاء به من فكرة، أو توظيف مضمون المعني الذي ورد في كلام الله عز وجل، أو توظيف الشخصيات القرآنية و...

ولا شك أن هذه المحسنة البلاغية تظهر بشكل واسع وبارز في كلام أهل البيت عليهم السلام الموصوفين بالقرآن الناطق. وانسياقا من هذا نجد نماذج كثيرة من اقتباس القرآن الكريم في أدعية الإمام الرضا عليه السلام؛ إليك نماذج منها:

- **توظيف السورة بأكملها:**

((اللهم بحق هذه الأسماء الحسني والكلمات العليا وبحق بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أهلك عدو محمد وآل محمد))؛ إذ ذكر الإمام سورة الإخلاص كاملة في دعائه لطلب الفرج متوسلا بأسماء الله تعالى. ولعل هذا يعود إلى فضل سورة الإخلاص إذ ((لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ فَقَطْ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: الْمُحْكَمَاتُ مَا لَيْسَ لَهَا تَصْرِيفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْمُحْكَمَاتُ خَمْسُمِائَةِ آيَةٍ، لِأَنَّهَا تُبَسِّطُ مَعَانِيهَا، فَكَانَتْ أُمَّ فُرُوعٍ قِيسَتْ عَلَيْهَا وَتَوَلَّدَتْ مِنْهَا، كَالْأُمِّ يَحْدُثُ مِنْهَا الْوَلَدُ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا: أُمَّ الْكِتَابِ، وَالْمُتَشَابِهُ: الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ)) (أبو حيان الأندلسي، ١٤٢٠هـ، ٣: ٢٢).

- **توظيف الآية الكاملة من القرآن الكريم:**

ومما ورد عنه عليه السلام ((﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيا﴾ (مريم ١٩: ١٨)؛ ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون ٢٣: ١٠٨)، أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره)) (٣٩).

وأحيانا وظف الإمام عليه السلام الآية المباركة ولكن بطريقة غير مباشرة ومثلا فيما يلي وظف الآية ٣٩ من سورة الرعد ولكن بصيغة الخطاب لله تعالى إذ قال: ((اللهم سهل لي حزونة أمري كله ويسر لي صعوبته إنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب)) (٤٣)، وأصل الآية هي: ((يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)) (الرعد ١٣: ٣٩).

وكما غير فعل الآية المباركة ((وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)) (لقمان ٣١: ٢٢)، في هذا الدعاء إذ قال: ﴿اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (٢٢٤).

- **توظيف بعض المفردات والعبارات القرآنية:**

لعل أكثر ما ورد من أنواع الاقتباس في أدعية الإمام الرضا عليه السلام هذا النوع من الاقتباس، إذ تم توظيف العبارات والمفردات القرآنية، إليك بعض النماذج:

قال الإمام الرضا عليه السلام في الصبح: ((آمنت بالله وحده لا شريك له، وكفرت بالجبت والطاغوت آمنت بسر آل محمد وعلانيتهم وولايتهم))، تذكرنا مفردتان الجبت والطاغوت بهذه الآية المباركة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء ٤: ٥١).

أو قال في عقيب بعد الفرائض لطلب الرزق: ((أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة وسلطانك القاهر وملكك الدائم وكلماتك التامات..)) (٧٢). وعبارات هذا القسم من الدعاء تذكرنا بالآيات الكريمة التالية:

﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر ٣٩: ٢٠)؛ و﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف ٧: ١٥٦)؛ و﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام ٦: ٦١)؛ و﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام ٦: ١١٥).

وقال عليه السلام بعد تهديده لقبول ولاية العهد: ((اللهم إنك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى

التهلكة و..)) (٩٤)؛ والعبارة مقتبسة من الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة ٢: ١٩٥).

الشواهد لهذا النوع من الاقتباس كثيرة جدا، يكاد لا يخلو كل دعاء وكل عبارة مما يذكرنا بآية كريمة من القرآن الكريم وقد اكتفينا بذكر هذه النماذج فقط.

- **توظيف الشخصيات القرآنية:**

قال في دعائه عليه السلام لقضاء الحوائج: ((يا صاحبي في شدتي ويا وليي فينعمتي ويا إلهي وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب..)) (٢٧). وذكر أسماء الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وربما وظف الإمام عليه السلام هذه الشخصيات القرآنية ليشير إلى فضل الله تعالى عليهم في مصائبهم وأنه عز وجلّ قضي حوائجهم، ومن هذا المنطلق يطلب منه تعالى أن يقضي حوائجه أيضا.

وليس دعاء إلا وفيه ذكر للنبي محمد صلى الله عليه وآله ويجعله شفيعا في كل الأمور وقضاء كل حاجة عند الله ويصلي عليه صلاة كثيرة متواصلة وأحيانا يذكر صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وهذه الصفات وردت في القرآن الكريم، إليك هذا النموذج: ((يا ماجد يا كريم، يا واحد يا كريم، أتوجه إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله..)) (٣٢).

عبارة ((نبي الرحمة)) تشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ٢١: ١٠٧)؛ وكذلك ((رسول الله)) وردت في هذه الآية المباركة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٤٨: ٢٩).

وقال عليه السلام بعد تهديده لقبول ولاية العهد: ((قد أكرهت واضطررت كما اضطر يوسف ودانيال إذ قبل كل واحد منهما الولاية من طاغية زمانه)) (٩٤)؛ وفي الدعاء إشارة إلى ما جري لهذين النبيين الكريمين وقد وردت قصة يوسف بصورة كاملة في القرآن الكريم وكما خص الله تعالى سورة كاملة لبيان قصته.

- **اقتباس المضمون القرآني:**

وذلك أن القارئ يصل إلى الآية المباركة من خلال المضمون الذي أخذه الإمام عليه السلام من القرآن الكريم ووظفه في الدعاء، منها إذ قال في دعائه لقضاء الحوائج متوسلا بثناء الله تعالى: ((اللهم جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوك، ومن وعدته بالإجابة أن يرجوك)) (٣٠).

معني أمر الله تعالى عباده بالدعاء يذكرنا بالآية المباركة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر ٤٠: ٦٠)؛ وكذلك معني عدم القنوط والخيبة من الإجابة في هذه الآية المباركة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر ٣٩: ٥٣).

وقال كذلك: ((عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي)) (٢٢١)؛ هذا المضمون بأن الإنسان إذا ارتكب المعاصي والذنوب فيظلم نفسه يوجد في القرآن الكريم وورد في هذه الآية المباركة: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٣: ١١٧).

٣. ٣. التضاد:

يمثل التضاد من الأدوات التصويرية التي تزيد بلاغة النص روعة وجمالا وذلك يحدث أحيانا بما ترفده من نغم صوتي تبرزه هذه الدلالات المتضادة بما يولد من إيقاعات خفية في النفس؛ ((لأنّ لظاهرة التضاد دلالة سيميائية من حيث كونها تثير حركة ديناميكية في السياق النّصي، وتجعل تفاعل المعاني والأخيلة والأحداث والشخصيات محقّقاً في جوهر واحد يمثّله المعني، مما يسمح بإعادة ترتيب بنية النص وجعله أكثر تكاملاً وانسجاماً)) (بوقرة، ٢٠٠٣م: ص ٣٢٩).

قد وظف الإمام الرضا عليه السلام هذا العنصر البلاغي في كثير من الأدعية وعند التأمل في الشواهد والنماذج نلاحظ أن لكل منه دلالات وإشارات بلاغية جمالية؛ إليك بعض النماذج:

- الدلالة علي الشمول والإحاطة:

((واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته بحفظك الذي يضيع من حفظته به)) (٩٨)؛ الإشارة إلى أن الحفظ والوقاية من كل الجهات.

((اللهم هم مفزعي ومعونتي في شدتي ورخائي وعافيتي وبلائي ونويمي ويقظتي وظعني وإقامتي وعسري ويسري وعلانيتي وسري وإصباحي وإمسائي وتقلبي ومثواي وسري وجهري)) (١٦٢)؛ فيه دلالة علي أن أهل البيت عليهم السلام ملجأه ومأواه في كل حالة، وذكر كل تلك الحالات ليدل علي الإحاطة والشمول، أي لا توجد حالة إلا وهو يلجأ إليهم.

((ونجني بهم.. من شر ما أعرف وما أنكر وما استتر عني وما أبصر)) (١٦٢)، إذ أفاد التضاد هنا في تحقيق معني الشمول والتأكيد علي كل الأشياء ويطلب النجاة من شر جميعها.

- **تصوير حالتين متضادين:**

((وأبدله من بعد خوفه أمنا يعبدك لا يشرك بك شيئا)) (١٠٠)؛ في دعائه للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يقابل حالة الأمن الذي تحصل بعد ظهوره بحالة الخوف الذي يعيشه.

((وبدلهم بالنعم النقم)) (١٧٨)؛ نلاحظ أنه عليه السلام بلفظتين (النعم والنقم) صور الحالتين المتناقضين؛ حالة النعمةالتي يعيش فيها العدو وحالة النقمة والبؤس الذي يرجوها ويتمناها من الله تعالى له.

- **الإشارة إلى قدرة الله عز وجل:**

((معز المؤمنين ومذل الجبارين)) (١٦٤)؛ بهذا التقابل الذي ذكره الإمام في هذا الدعاء تبرز قدرة الله تعالى في أن العزة والذلة كلها بيده تعالى.

- **التأكيد علي إيمانه بالأئمة الأطهار عليهم السلام:**

((أؤمن بسرهم وجهرهم وظاهرهم وباطنهم وغائبهم وشاهدهم وحيهم وميتهم لا شك في ذلك ولا ارتياب ولا انقلاب)) (١٦١). يُبعد أي شك وارتياب من نفسه في إيمانه بهم عليهم السلام، ويقر بإيمانه لهم إقرارا تاما.

- **الترغيب بالإحسان:**

((إلهي لقد وعدت المحسن ظنه بك ثوابا وأوعدت المسيء ظنه بك عقابا)) (١٦٠)؛ قد وتم توظيف المقابلة هنا بين المحسن والمسيء والثواب والعقاب فحدثت مقارنة بين نقيضين ليزيد من الترغيب في أحدهما والتنذير من الآخر، لأن الأول يشمل صفة إيجابية حسنة، والثاني تنطوي عليه صفة سلبية.

- **الدلالة علي الدوام والاستمرارية:**

((سبحان الله بكرة وعشيا)) (١٧٠)؛ إذ يدل التضاد هنا علي الدوام والاستمرارية في كل الأوقات وعدم الانقطاع، وتواصله في الصباح والمساء.

- التوازن بين الحالتين:

((وأشهد أن محمدا عبده ورسوله و.. أرسله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه)) (١٦٣)؛ يفيد التضاد في لفظتي (بشيرا ونذيرا) في إيجاد حالة التوازن بين البشارة والتنذير وذلك هو الغاية التي بعث الله رسوله الكريم، لأنه يستبشر ويخبر المؤمنين بما يسر ويفرح ويوجه التنذير من العقاب والعذاب إلى الكافرين والمشركين. وكذلك يساهم هذا التبشير والإنذار في حالتي الترغيب والترهيب.

وقال أيضاً: ((يا معز كل ذليل ويا مذل كل عزيز)) (١٧٤). هذا التقابل هنا فيه نوع من التوازن بين الحالتين فضلا أن فيه دلالة علي أن العزة لله تعالى، وكل العزة بيد الله يعز من يشاء ويذل من يشاء.

((يا من لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين)) (١٩٥)؛ المقابلة التي حصلت في هذه العبارات والتضاد بين ألفاظها لو دلت علي شيء ليدل علي أن الله تعالى غني عن الخلق أجمعين ولا طاعة أحد تنفعه ولا معصية أحد تضره؛ وهو فوق كل شيء وهو خالق كل شيء.

وأخيرا لابد أن نشير أنه لا شك أن قيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظم العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين، فلن يكون له أي تأثير، ما لم يتداع في توال لغوي وبعبارة أخرى فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية مثلها في تلك التقابلات المثمرة في اللغة (فضل، ١٩٩٨م: ص ٢٢٥)؛ و هذا يمكن أن يعبّر عنها بالنظام التقابلي؛ ((ويري

البلاغيون أنّ استخدام التضاد هو غاية جمالية، ومطلبٌ فني، ذلك أنّ محاولة الشاعر الجمع بين الأضداد في المعني يضفي جمالاً خاصاً علي التعبير، ويوفّر تناسباً فنياً بين أجزائه وتناسقاً وانسجاماً وارتباطاً بين الألفاظ والعبارات والصور، بحيث يبدو التعبير مثل الصورة المكتملة في أجزائها المتناسقة في ألوانها، وهكذا يبدو التضاد عنصراً جوهرياً من عناصر الشعر وخصيصة من الخصائص التي لا يمكن الاستغناء عنها)) (الوتوات، د.ت، ٢٦١).

٣. ٤. التكرار:

ورد في المعني اللغوي للتكرار: ((كرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى والكر: الرجوع علي الشيء ومنه التكرار وقال الجوهري: كررت الشيء تكريرا وتكرارا)) (ابن منظور، ((كرر)).

أما في حده البلاغي فهناك عدة تعاريف مختلفة منها ما ذكره ابن معصوم المدني إذ قال: ((تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة إما لتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر)) (ابن معصوم المدني، ١٩٦٩م، ٥: ٣٤).

إليك بعض الشواهد من أدعية الإمام الرضا عليه السلام التي تكرر فيها بعض الألفاظ والعبارات:

قال في دعاء لطلب العافية مكررا لفظة العافية: ((يا ولي العافية والمنان بالعافية ورازق العافية والمنعم بالعافية والمتفضل بالعافية عليّ وعلي جميع خلقه رحمن الدنيا ورحيمهما صل علي محمد وآل محمد..وارزقنا العافية ودوام العافية في الدنيا والآخرة)) (١٥٨).

كما تكررت لفظة ((الفرج)) ١٨٤ مرة في دعائه عليه السلام لطلب الفرج متوسلا بأسماء الله تعالى؛ ليدل علي التلذذ الحاصل من تكرار هذه اللفظة والتأكيد علي ما يطلبه من الله تعالى.

وقال عليه السلام مكررا لفظتي (المؤمنين والمؤمنات) في الدعاء التالي:

((تفضل علي فقراء المؤمنين والمؤمنات بالغني والبركة وعلي مرضي المؤمنين والمؤمنات بالشفاء والعافية وعلي موتي المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والرحمة وعلي غرباء المؤمنين والمؤمنات بالرد إلى أوطانهم سالمين غانمين)) (١٧١). والغرض من هذا التكرار التعظيم.

وكرر عليه السلام لفظة ((المعروف)) في دعائه لطلب تفريج الغموم والهموم: ((يا معروفا بالمعروف معروف، ويا من هو بالمعروف موصوف، أنلني من معروفك معروفا تغنيني به عن معروف من سواك برحمتك يا أرحم الراحمين)) (١٧٢). للتأكيد علي ما طلبه من الله سبحانه.

((أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق وإنجازك حق والجنة حق والنار حق)) (١٧٦)؛ ليدل تكرار لفظة (الحق) علي أحقية كل هذا لأن كلها عائد إلى الله تعالى التذي هو الحق.

هناك نقاط هامة لابد من الإشارة إليها، ألا وهي:

- فلا شك أن للتكرار في هذه الأدعية علاقة وطيدة مع موقف الداعي وحالته النفسية ومما لا بد من أن ننتبه هو أن الأئمة الأطهار عليهم السلام هم الذين علمونا طريقة الحديث مع الخالق الباري عز وجل ولذلك كثير من هذه الأدعية تُقرأ في الحالة التي تناسب وتلائم وحالة الإنسان. مثلا الإنسان المهموم المغموم أو الذي أصيب بفقد عزيز يمكنه أن يلجأ إلى هذه الأدعية للأئمة الطاهرين عليهم السلام ويختار ما يناسب حالته النفسية ويبدأ بقرائته ويناجي ربه بذلك اللسان أو التعبير الذي وظفه هؤلاء السادة القادة ويناجي الله تعالى.
- ومما يلفت انتباهنا في هذه المقاطع التي تم الاستشهاد بها لبيان التكرار في الأدعية الرضوية هو دور التكرار في بعث الموسيقي الداخلية وكأنه اتُّخذ أداة لتحقيق الموسيقي لأنه ((أقوي وسائل الإيحاء وأقرب إلى الدلالات اللغوية النفسية في سيولة أنغامها)) (الحمداني، ١٩٨٩م، ٢٤٦). والتكرار في الأدعية الرضوية أوحي بتدعيم النغم الصوتي وتردده المعنوي.
- أضفي التكرار في هذه الأدعية لمباركة إيحائية معنوية كشفت عن حيثيات معرفية وكان مؤازرا وتأكيدا للمعني وتوضيحه.
- في صنعة التكرار الأسلوبية في هذه الأدعية جاءت بما يلائم الحال غاية في التأدب بينه وبين الله سبحانه، والتناسق اللفظي واضح في مفردات الأدعية الرضوية.

٣. ٥. السجع والتنميق:

السجع يدل علي صوت متوازن وهو أن يؤتي به وله فواصل كقوافي الشعر (ابن فارس، ١٤٠٤هـ، ٣: ١٣٥)؛ وعرفه ابن الأثير بأنه تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور علي حرف واحد (ابن الأثير، د. ت، ١:١٩٥)؛ وهو إذا جاء من غير تصنع وتكلف ولم تظهر سماجته ولم يثقل استماعه كان آية من آيات البلاغة ودلائل الفصاحة وأحسن السجع ما سلم من التكلف وبري (ضيف، د. ت، ٤٢١).

من نماذج السجع في الأدعية الرضوية علي سبيل المثال ولا الحصر هي:

((ولك الحمد علي سعة إمهالك، ودوام إفضالك، وصرف إمحالك، وحميد أفعالك، وتوالي نوالك؛ ولك الحمد علي تأخير معالجة العقاب، وترك مغافضة العذاب، وتسهيل طرق المآب، وإنزال غيث السحاب، إنك المنان الوهاب)) (١٥٣).

((إلهي وقفت بين يديك، ومددت يدي إليك، مع علمي بتفريطي في عبادتك، وإهمالي لكثير من طاعتك، ولو أني سلكت سبيل الحياء، لخفت من مقام الطلب والدعاء، ولكني يا رب لما سمعتك تنادي المسرفين إلى بابك، وتعدهم بحسن إقالتك وثوابك، جئت ممتثلا للنداء، ولائذا بعواطف أرحم الرحماء)) (١٥٤).

((واجعلني من خاصتك وأحبائك فقد قدمت أمام مسألتك ونجواك ما يكون سببا إلى لقائك ورؤياك، وإن رددت مع ذلك سؤالي وخابت إليك آمالي فمالك رأي من مملوكه ذنوبا فطرده عن بابه وسيد ردي من عبده عيوبا فأعرض عن جوابه)) (١٥٥).

((فمسألتي لك يا رب في هذا المقام الموصوف مقام العبد البائس الملهوف أن تغفر لي ما سلف من ذنوبي وتعصمني فيما بقي من عمري وأن ترحم والديّ الغريبين في بطون الجنادل البعيدين من الأهل والمنازل صل وحدتهما بأنوار إحسانك وآنس وحشتهما بآثار غفرانك وجدد لمحسنهما في كل وقت مسرة ونعمة ولمسيئهما مغفرة ورحمة حتى يأمنا بعاطفتك من أخطار القيامة وتسكنهما برحمتك في دار المقامة)) (١٥٥).

وقد نلاحظ أن الأسجاع في هذه الأدعية له دور بارز في الموسيقي الداخلية وساهم في التناغم اللفظي فيها وكذلك من الواضح أن الأسجاع وردت بدون تكلف وتصنع وكأنها جرس موسيقي يأسر الذهن والقلب.

ونصٌ هذه الأدعية جمعت بين عنصري السجع والترسل وتوظيف العنصرين معا كان ذا مغزي ولم يكن الأمر راجعا إلى كونه زينة فقط كما اعتقد ابن خلدون أن المحسنات البديعية بوصفها زائدة عن الإفادة وتمثل زينة تعبيرية فقط (ابن خلدون، د. ت، ٤٠٧).

٣. ٦. توظيف الصور البلاغية:

الصورة هي ((خلق المعاني والأفكار المجردة أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلقا جديدا لتبرز إلى الوجود مستقلة عن حيز التجريد المطلق وتتخذ له هيءة وشكلا يأتي علي نمط خاص وتركيب معين بحيث تجري فيهما الحياة والروح والقوة والحرارة والضوء والظلال والبروز والأثر)) (الزيات، ١٩٤٥م، ٦٣)؛ وكما ذكر عبد القادر القط فطاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والجناس وغيرها من وسائل التعبير الفني تُستخدم في تشكيل الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ (القط، ١٩٨١م، ٤٣٥). التعبير البياني المجرد يقصر أحيانا عن الإيحاء الشعوري المتكامل فيعمد المتكلم إلى الصور التي من شأنها أن تقدم غير المحس في هيئة أشكال محسّة قادرة علي التصوير والتعبير معا (زايد، ١٩٩٣م، ١١٠).

نقصد بالصورة هنا في الأدعية الرضوية الصور البلاغية؛ وإليك نماذج منها:

((أرسله.. بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)) (١٦٣)؛ إذ جاء بالصورة التشبيهية للرسول الكريم مشبها إياه بالسراج المنير، وكما أن الإنسان يستنير بنور السراج ويهتدي إلى طريقه فبنور محمد النبي يسترشد ويجد ضالته والصراط المستقيم في ظلمات الكفر والجهل.

قال في دفع العدو: ((اللهم اطرقه بليلة لا أخت لها)) (١٧٧)؛ عبارة (لا أخت لها) كناية عن أنه لا شبيه لها ولا نظير ولا مثيل.

((اللهم صل علي محمد وآل محمد وادفع عن وليك وخليفتك وحجتك علي خلقك ولسانك المعبر عنك بإذنك الناطق بحكمتك وعينك الناظرة في بريتك..)) (٢٠٣)؛ شبه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف باللسان المعبر عن الله، وبعينه التي ينظر بها إلى خلقه.

((اللهم اشعب به الصدع وارتق به الفتق وأمت به الجور وأظهر به العدل)) (٢٠٤)؛ العبارات كناية عن الجمع والاتحاد، ويطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يوحد المسلمين بالإمام الحجة.

((واقصم به رؤوس الضلالة وشارعة البدعة)) (٢٠٥)؛ في الدعاء استعارة مكنية، إذ تم تشبيه الضلالة بإنسان ذي رأس وحُذف المشبه به وأشير إلى إحوي لوازمها وهي الرأس.

((حتى تنير بعدله ظلم الجور وتطفئ به نيران الكفر)) (٢٠٥)؛ والإضافات التشبيهية في الدعاء واضحة إإ شبه الجور بالظُلَم، والكفر بالنار.

((وصل علي آبائه الطاهرين الأئمة الراشدين اللهم فإنهم معادن كلماتك وخزان علمك)) (٢٠٧)؛ تم تشبيه الأئمة الأطهار عليهم السلام بالمعادن والخزان.

((اللهم وشركاؤه في أمره ومعاونوه علي طاعتك الذين جعلتهم حصنه وسلاحه)) (٢٠٧)؛ تم تشبيه شركاء الإمام عليه السلام بالحصن والسلاح.

((اللهم انظر إلى بعين الرحمة)) (٢١٨)؛ الإضافة التشبيهية في الدعاء بشتبيه الرحمة بالعين.

((صل علي محمد عبدك ورسولك ونبيك.. معدن سرك وكهف غيبك النير المضيء السراج اللامع والنور الساطع والحجة البالغة نورك الأنور وحبلك الأطول وعروتك الأوثق وبابك أئني ووجهك الأكرم)) (٢١٩)؛ هذه كلها استعارات عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

((اللهم إنك تهدي من الضالة وتنجي من العمي)) (١٨٤)، العمي استعارة عن الكفر والشرك وليس العمي الظاهري.

((فإني عبدك وابن عبدك أتقلب في قبضتك وناصيتي بيدك)) (١٨٧)؛ العبارات كناية عن أن العبد بين يدي الله لا مفر له ولا منجي.

((سترتُ بيني وبينك بستر النبوة الذي استتر به أنبياء الله من سطوات الجبابرة والفراعنة)) (١٨١)؛ الفراعنة جمع فرعون وهم ملوك مصر، ولكنها كناية عن كل متكبر جبار ظالم فاسق، ومع وجود الفراعنة يتزامن مع النبي موسى عليه السلام فقط، ولكن أطلق علي

كل الظالمين في عهد كل نبي اسم فرعون.

فالمعنى عندما يرد علي المتلقي عاريا مجردا لا يحدث لذة له لأنه يقرر للمتلقي ما هو معروف بأسلوب معروف فلا يثير فضولا أو شوقا إلى التعرف علي غير المعروف أما إذا ورد المعني عن طريق التمثيل فإنه يرد بشكل غير مباشر لا يتجلى إلا طلبه بالفكرة (الجرجاني، ١٢٦).

هذا معناه أنك إذا عبرت عن الشيء باللفظ الدال عليه علي سبيل الحقيقة حصل كمال العلم به فلا تحصل اللذة القوية أما إذا عبرت عنه بلوازمه المجازية وعرف لا علي سبيل الكمال فتحصل الحالة التي هي الدغدغة النفسية فلأجل هذا كان التعبير عن المعاني بالعبارات المجازية ألذ من التعبير عنها بالألفاظ الحقيقية (عصفور، ١٩٩٢م، ٣٦٢).

مما يلفت الانتباه في الأدعية الرضوية هو ظهور الصور النفسية التي تعني بخبيئات النفوس ووصف الحركات الباطنية التي تتم داخلها بقيت قليلة، وأسلوب الدعاء يقتضي تصوير الحالة النفسية أمام الرب القادر ويجعل الداعي يميل إلى النواحي الروحية والنفسية ويرسم المشاعر الخفية في خلجات النفس ويتتبعها؛ كما ينبغي أن نشير إلى أن بعض الدراسات النقدية الحديثة تميل إلى غض الطرف عن التقسيم البلاغي للصورة وحصرها في التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية بل تميل إلى التعامل المباشر مع الصورة الكاملة ولا تسمح هذه الدراسات بتقطيع الصور إلى أجزاء كيلا تتلاشي روحها وقوتها لأنهم يذهبون إلى أن الصورة تموت بهذا التفكيك غير الفني ((إن البحث عن روح الصورة والمحافظة أثناء ذلك علي هذه الروح هما هدف الدارس اليوم)) (ساعي، ١٩٨٤م، ٣٢).

((فمسألتي لك يا رب في هذا المقام الموصوف مقام العبد البائس الملهوف أن تغفر لي ما سلف من ذنوبي وتعصمني فيما بقي من عمري)) (١٥٥).

((اللهم إن ذنوبي وكثرتها قد أخلقت وجهي عندك وحجبتني عن استئهال رحمتك وباعدتني عن استيجاب مغفرتك ولولا تعلقي بآلائك وتمسكي بالدعاء وما وعدت أمثالي من المسرفين وأمثالي من الخاطئين.. الهي لقد كان الإياس عليّ مشتملا والقنوط من رحمتك عليّ ملتحفا)) (١٦٠).

إذ نلاحظ أن الإمام عليه السلام بوصفه عبدا من عباد الله يصور الحالة النفسية لذلك العبد الذي استعصم بالله تعالى واستجار به وهذه الحالات لا يمكن أن تُتلقّي بالحواس وحدها وإلا لضاعت معالمها؛ بل تحتضنها نفس المتلقي وتتفاعل مع عواطفها كأنها وقعت لها.

ويقال إن المعاني هي الصورة الفنية التي تحصل في الذهن عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود ف خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم (صعود، ١٩٩٠م، ٣٣).

((اللهم إنك تعلم أني مكره مضطرّ فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين وقع إلى ولاية مصر)) (٢٠٢)؛ والقارئ يستذكر قصة يوسف عليه السلام وما جري له في مصر وكذلك تتم المقارنة بين حالة الإمام الرضا عليه السلام في قبوله ولاية العهد في خراسان وحالة النبي يوسف عليه السلام.

ومما يلفت الانتباه في هذه الأدعية المباركة هو تألق الصورة الإيقاعية روعة وبهاء في صيغة فنية محكمة بأجزائه المنسوجة نسجا سجعيا؛ إليك بعض النماذج منها:

((اللهم غادرهم بكرة وهجيرة وسحرة، وبياتا وهم نائمون، وضحي وهم يلعبون، ومكرا وهم يمكرون، وفجأة وهم آمنون)) (١٧٨).

((اللهم يا ذا القدرة الجامعة، والرحمة الواسعة، والمنن المتتابعة، والآلاء المتوالية، والأيادي الجميلة، والمواهب الجزيلة، يا من لا يوصف بتمثيل، ولا يمثل بنظير، ولا يغلب بظهير، يا من خلق فرزق، وألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارتفع، وقدر فأحسن، وصور فأتقن، واحتج فأبلغ، وأنعم فأسبغ، وأعطي فأجزل، ومنح فأفضل، يا من سما في العز ففات خواطر الأبصار، ودنا في اللطف فجاز هواجس الأفكار، يامن تفرد بالملك فلا ندّ له في ملكوت سلطانه، وتوحد بالكبرياء فلا ضد له في جبروت شأنه)) (١٧٩).

الخاتمة والنتائج:

أهم النتائج التي حصلت من البحث في البناء الفني الجمالي لأدعية الإمام الرضا عليه السلام هي:

- التكرار في هذه الأدعية المباركة يفيد تقوية المعني والمضمون والصورة ويضفي عليها جوا عاطفيا. وأكثره وقع في الكلمة، وله دور بارز في الإيقاع الموسيقي فيها.
- ظهرت قدرة الإمام الفنية في لغته التعبيرية لرسم مشاهد حقيقية بكل أبعاده فكان يهتم بإبراز المعاني المتكاثفة والمضامين العالية في الصور المتنوعة.
- يحس قارئ هذه الأدعية بقدر كبير من الانفعال والتجربة الصادقة والعاطفة الجياشة في هذه الأدعية، خاصلة من التكلف والتزيد.
- أحيانا تتكرر الصور والمعاني في الأدعية تكرارا واضحا ولعل السبب في ذلك أن كل هذه الأدعية المباركة لم تخرج من غرض أصلي واحد.
- تنطوي الأدعية الرضوية المباركة التي ضمت بين دفتيها أدعية الإمام الرضا عليه السلام ومناجاته وابتهالاته علي أساليب بيانية وتعبيرية جميلة ومعان راقية وقيم ومُثُل عليا.
- تفيض الأدعية بالطاقة الكثيفة فهي مفعمة بالموسيقي الداخلية الباطنة. والصوت يترجم الإحساس وينقل الانفعالات في حنايا تعبيرية للغة.
- الساحة البلاغية لأدعية الإمام الرضا عليه السلام ذات آفاق واسعة وأغوار بعيدة والإمام اختار أسلوبا سهلا ولهجة سلسة في كلامه، وذلك بما تقتضي الطبيعة الذاتية للدعاء.
- أسلوب الإمام الرضا عليه السلام في أدعيته رصين مقرون باالفصاحة والبلاغة، مستمدا فيه من هدي القرآن الكريم وسنة النبي صلي الله عليه وآله وسلم.
- دخل عنصرا السجع والترسل في الأدعيةالرضوية في تحديد فاعلية النظام الإيقاعي وتوجيهها، ونشأ عن تظافر هذين العنصرين تلوين إيقاعي.
- الصور البيانية المتشابهة في هذه الأدعية المباركة بتكرارها وإيقاعها تمنح اللفظة حركة تستبطن جوهر الجمال البياني وبها تتجاوز الألفاظ عن عالمها السطحية إلى عالم بالتعابير الشفافة والمشاعر المرهفة التي تقتقيها الأدعية أو أسلوب الدعاء والمناجاة مع من هو فوق كل شيء في العالم.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

- إبراهيم، زكريا. (١٩٧٦م). مشكلة البنية. القاهرة: دار مصر للطباعة.
- الأبطحي الأصفهاني، السيد محمدباقر، (١٤٢٠ه). الصحيفة الجامعة لأدعية علي بن موسى الرضا وأبنائه الأربعة عليهم السلام، قم المقدسة: مؤسسة الإمام المهدي.
- ابن الأثير، نصر الله بن محمد ضياء الدين (ت ٦٣٧هـ)، (د. ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ه)، (١٤٠٤ه). معجم مقاييس اللغة، التحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلامي الإسلامي.
- إسماعيل، عز الدين. (١٩٧٢م). الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. بيروت: دار الثقافة.
- بوقرة، نعمان (٢٠٠٣م).((قراءة سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم الظاهري)). مجلة جذور. جدة. ع ١٢. ص ٣٢٧-٣٤٤.
- الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠١م). أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- جعفريان، رسول، (١٤١٤ه). الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، بيروت: دار الحق.
- الحمداني، سالم أحمد، (١٩٨٩م). مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، الموصل: مطبعة التعليم العالي.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ه)، (١٤٢٠ه). البحر المحيط في التفسير، المحقق: صرقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، (د. ت). مقدمة ابن خلدون، الإسكندرية:دار ابن خلدون.
- زايد، علي عشري، (١٩٩٣م). عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط ٣، القاهرة: مكتبة النصر.

- الزيات، أحمد حسن، (١٩٤٥م). دفاع عن البلاغة، القاهرة: مطبعة الرسالة.
- ساعي، أحمد بسان، (١٩٨٤م). الصورة بين البلاغة والنقد، دمشق: المنارة للطباعة والنشر.
- ابن شيخ، جمال الدين، (١٩٦٦م). الشعرية العربية، المغرب: دار توبقال للنشر.
- صعود، حمادي، (١٩٩٠م). في نظريه الأدب عند العرب، جدة: النادي الأدبي الثقافي.
- ضيف، شوقي، (د. ت). تاريخ الأدب العربي (العرص الجاهلي)، القاهرة: دار المعارف.
- الطرابلسي، الهادي. (١٩٩٢م). تحاليل أسلوبية. تونس: دار الجنوب للنشر.
- العاملي، السيد جعفر مرتضي، (١٤٠٣هـ). الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- عبد النور، جبور. (١٩٧٩م). المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين.
- عرفان منش، جليل، (١٤٣٤هـ). مسايرة الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان، ترجمة: ناصر النجفي، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية.
- عصفور، جابر أحمد، (١٩٩٢م). الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط ٣، بيروت: دار التنوير.
- عياد، شكري. (١٩٦٨م). موسيقي الشعر العربي. القاهرة: د. ن.
- فضل الله، محمد جواد، (١٣٩٦.ش). تحليلي از زندگاني امام رضا عليه السلام (بالفارسية)، ترجمة: محمد صادق عارف، ط ٢، مشهد: آستان قدس رضوي، بنياد پژوهشهاي اسلامي.
- فضل، صلاح. (١٩٩٥م). أساليب الشعرية المعاصرة. بيروت: دار الآداب.
- فضل، صلاح (١٩٩٨م). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة: دار الشروق.
- القرشي، باقر شريف، (٢٠٠٩م). موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، المحقق: مهدي باقر القرشي، قم المقدسة: دار المعروف.
- القط، عبد القادر، (١٩٨١م). الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية.
- ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمّد (ت ١١١٨ق أو ١١٢٠ق)، (١٩٦٩م). أنوار الربيع في أنواع البديع، المحقق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ٨ج. نسقه وعلق عليه علي شيري. بيروت: دار إحياء التراث. ١٩٠٨هـ
- الوتوات، عبدالله أحمد (د. ت). ((أسلوب المقابلة والتّضاد في شعر الرقيات)). المجلة العلمية لكلية التربية، ع ٣. جامعة مصراتة. ص ٢٥٩-٢٨٢.